

تفسير ابن كثير

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

قال السدي في تفسيره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن

ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) قال :

أخذوا الضلالة وتركوا الهدى . وقال [محمد] بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ،

عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (أولئك الذين اشتروا الضلالة

بالهدى) أي : الكفر بالإيمان . وقال مجاهد : آمنوا ثم كفروا . وقال قتادة : استحبا

الضلالة على الهدى [أي : الكفر بالإيمان] . وهذا الذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله

تعالى في ثمود : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) [فصلت : 17]

. وحاصل قول المفسرين فيما تقدم : أن المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضلال ،

واعترضوا عن الهدى بالضلالة ، وهو معنى قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

(أي بذلوا الهدى ثمنا للضلالة ، وسواء في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثم

رجع عنه إلى الكفر ، كما قال تعالى فيهم : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم

([المنافقون : 3] ، أو أنهم استحبوا الضلالة على الهدى ، كما يكون حال فريق آخر منهم ، فإنهم أنواع وأقسام ؛ ولهذا قال تعالى : (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أي : ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة ، (وما كانوا مهتدين) أي : راشدين في صنيعهم ذلك . قال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قد - والله - رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة . وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، بمثله سواء .